"الندوة الأولى لكتّاب الخيال العلمي في الوطن العربي"

الدكتور عيسى الشماس

كليّة التربية

جامعة دمشق

عقدت في دمشق الندوة الأولى لكتّاب الخيال العلمي في الوطن العربي تحت اسم "**دورة لوقيانوس السوري**" الذي يعدّ رائد أدب الخيال العلمي في التاريخ، وذلك في يومي (الثالث والرابع) من حزيران 2007، برعاية وزارة الثقافة. وشارك فيها عدد من كتّاب الخيال العلمي العرب، والباحثين في أدب الخيال العلمي.

من هو لوقيانوس السوري؟:

هو لوقيانوس الشميشاطي، الأديب السوري الذي ولد وتربّى في (شميشاط) في منطقة الفرات الأعلى، من كيليكية السورية (مقاطعة كوماخين). وعاش في ظلّ سيطرة الإمبراطورية الرومانية على المنطقة. عاش ما بين (125–192) ميلادية.

عمل في صباه بصناعة التماثيل، ثمّ مال إلى القراءة والعلم" بعدما جاءت الثقافة إليه في الحلم وأقنعته بأن يتبعها "كما ورد في كتابه "محاورة المنام". ثمّ غادر إلى أثينا وإيونيا وتعمّق في اللغة اليونانية، وأنهى تعليمه في مدرسة للخطابة والبيان، وهو في العشرين من عمره. وعاد إلى وطنه (سورية) ومارس مهنة المحاماة، ولم يلبث أن ترك هذه المهنة وأصبح خطيباً متجوّلاً في أنحاء العالم الروماني. حتى عاد إلى وطنه

في عام 164 ميلادية، وتفرّغ للكتابة متحوّلاً من (السوفسطائية) إلى المحاورات الهجائية، حتى عُرِف بكتاباته التهكّميّة.

أسند إليه في السنوات الأخيرة من عمره، منصب المستشار القضائي للوالي الروماني في مصر، في زمن الإمبراطور الروماني (كوموديوس)، وبقي في هذا المنصب حتى مماته. ترك عشرة مؤلفات هي: (حول طريقة كتابة التاريخ، الإيمائية، المنام أو الديك، الصور أو اللوحات، مديح الذبابة، محاورة الموتى، الوصول إلى العالم السفلي، استحضار الموتى، التأملات، ومحاورة الآلهة..).

فضلاً عن كتاب "**قصة حقيقية**" الذي يصف فيه رحلة إلى القمر، وكتاب "**رسائل من زحل**"، اللذان جعلاه من روّاد الخيال العلمي في التاريخ.

وقائع الندوة:

افتتحت الندوة مساء الأحد 17 حزيران، بكلمة من السيد وزير الثقافة، الدكتور رياض نعسان آغا، تحدّث فيها عن أهمية الخيال العلمي في التقدّم العلمي، إذ إنّ كلّ اختراع كان صورة في مخيلة رجل ما، ولذلك فإن البشرية، بكل ما أنجزته من علوم وتقانات، مدينة للخيال العلمي. وليس الاحتفاء اليوم بالخيال العلمي سوى احتفاء بتقدّم البشرية. وأشار إلى أنّ كتّاب الخيال العلمي، هم نخبة من المفكّرين الذين يمتلكون القدرة على تجاوز الواقع، لأنّهم يسمعون أبعد ما تسمع الأذن، ويرون ما لا تراه العين.

وأكّد السيد الوزير، في نهاية كلمته، العمل على مشروع إطلاق رابطة كتّاب الخيال العلمي في الوطن العربي، وتبنّي وزارة الثقافة نشر بحوث هذه الندوة في كتاب مرجعي، يغني ثقافتنا العربية.

وكان الأستاذ /نهاد شريف/ عميد أدباء الخيال العلمي، قد ألقى كلمة أعرب فيها عن سعادته في دمشق، لأنّه تعرّف مجموعة من الكتّاب والباحثين في الخيال العلمي، حيث رأى في سورية اهتماماً بالعلماء، لم يجده في مكان آخر.

أمّا الدكتور طالب عمران، رئيس اللجنة المنظّمة للندوة، ورائد الخيال العلمي في سورية، فقد تحدّث في كلمته عن أهمية هذه الندوة كتكريم لكتّاب الخيال العلمي، منوّهاً بدور السيد وزير الثقافة في تنظيمها ودعمها، ولا سيّما أنّ كتّاب الخيال العلمي مهمّشون قياساً بالكتّاب الآخرين. واختتم كلمته بالإشارة إلى أنّ أدب الخيال العلمي هو أدب المستقبل. متمنياً أن تكون هذه الندوة ركيزة من ركائز الإبداع وبذل الجهود لإطلاق "رابطة أدب الخيال العلمي".

وبعد تكريم رائدي الخيال العلمي، نهاد شريف من مصر، والمرحوم محمد عزّام من سورية، بدأت الندوة أعمالها، حيث قدّم فيها (ثمانية عشر بحثاً) على يومين تناولت ثلاثة محاور أساسية، هي: تاريخ الخيال العلمي، و فلسفة الخيال العلمي، وأهمية الخيال العلمي في الأدب.

أولاً– محور تاريخ الخيال العلمي: تناولت هذا المحور ستة بحوث، عُرضت على النحو الآتي:

1–أدب الخيال العلمي في التاريخ، قدّمه الأستاذ /نهاد شريف/ من مصر، وتحدّث فيه عن اهتمام العرب منذ القديم بهذا النوع الأدبي، إلى جانب اهتمامهم بالعلوم، حيث مزجوا بين العلمي والأدبي بروائع من المؤلفات، كما في (**المدينة الفاضلة، حي بن يقظان، وألف ليلة وليلة، وكليلية ودمنة..**). وثمّة بعض الكتّاب العرب في الوقت الحاضر، بدأوا يميلون إلى كتابة الخيال العلمي، مستفيدين من معطيات التراث العربي والعالمي.

ثمّ تحدّث عن تجربته في كتابة الخيال العلمي، وذكر بعض إسهاماته في هذا المجال، مبيّناً أهمية هذا الفنّ الأدبي الذي يجب أن يعطى ما يستحقّه من الاهتمام في الوطن العربي، كما هي الحال في دول العالم.

2-أدب الخيال العلمي العربي: قدّمه الباحث / زهر غانم / من لبنان، وتحدّث فيه عن وجود هذا الأدب في التراث والتاريخ وبعض الحكايات، مستعرضاً أبرز العلماء العرب/ القدماء الذين قاربوا الخيال العلمي، من أمثال (**الجاحظ، ابن المقفّع، البغدادي، ,وغيرهم**). وقدّم مثالاً على ذلك ما جاء في " ألف ليلة وليلة " من أحداث وشخصيات خيالية، التي ترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، وحاكاها كثير من الكتّاب في الغرب. ومع ذلك ليس لدينا أدب خيال علمي، ربّما لأنّنا نستهلك نتاجات العلم ولا نسهم فيه، وكذلك لا نترجم أدب الخيال العلمي.

وأشار الباحث إلى أنّ الخيال العلمي نوع من الفنّ الأدبي، يعتمد الخيال حيث يعمد مؤلّفه إلى خلق عالم خيالي، أو كون ذي طبيعة جديدة، مستعيناً بتقنيات أدبية تتضمّن فرضيات، أو تستند إلى نظريات علمية (فيزيائية، بيولوجية، تكنولوجية، وأيضاً فلسفية).

ولكنّ الباحث يعترف بأنّ ثمّة جيلاً من كتاب الخيال العلمي في الوطن العربي، من أمثال: العالم الجيولوجي /محمد العشري/ الذي كتب "هالة النور" واكتشف من خلالها كوكباً عاشراً، والسعودي /أشرف الفقيه/ الذي كتب "صائد الأشباح،1997، وحنيناً إلى النجوم، 2000" وكذلك /صفاء النجار/ التي كتبت رواية "استقالة ملك الموت" وغيرهم.

3- أدب الخيال العلمي العربي تحت المجهر، قدّمته الدكتورة /كوثر عياد/ من تونس/ فرنسا، وتضمّن دراسة تاريخية/ مقارنة بين أدب الخيال العلمي عند العرب، وأدب الخيال العلمي عند الغرب، وصولاً إلى بعض الكتابات العربية الحديثة في الخيال العلمي ، من أمثال: "**رحلة إلى الغد**" من تأليف توفيق الحكيم، والتي تطلّع من خلالها إلى استشراف المستقبل. ورواية "**الطوفان الأزرق**" التي كتبها عبد السلام البقالي، التي عدّها بعض النقاد أدباً غربياً..

وأشارت الباحثة إلى أنّ الموقف الرافض للخيال العلمي، لم يثنِ بعض الأدباء عن الكتابة في النمط الأدبي، بل دفع بعضه إلى تقريب هذا المفهوم من الناس. وقدّمت مثالاً على ذلك، مقالةكتبها "مدحت الجيار" في مجلة "فصول" عام 1984، بعنوان "جدلية الحداثة في رواية الخيال العلمي" وأكّد فيها أنّ الخيال العلمي جزء لا يتجزّأ من الأدب العربي، وأنّه استمرار له. واعتبرت أن هذا الأدب يتسم بالحداثة والمعاصرة، وطالبت بتدريسه كضرورة مستقبلية.

وتساءلت الدكتورة عياد، في النهاية: هل حان الوقت لنعتني – نحن العرب – أكثر فأكثر بهذا النوع من الكتابة الواعدة ؟ وهل حان الوقت لنشجّع أدب الخيال العلمي، علّنا نستطيع به أن نؤسّس لمستقبل أفضل، ولوعي أعمق بالعالم وبالإنسانية ؟!

4–تجربتي مع أدب الخيال العلمي، قدّمه الباحث /صلاح معاطي/ من مصر، وبدأ بمعرفته الأستاذ / نهاد شريف/ رائد الخيال العلمي في الوطن العربي. ثمّ أشار إلى أصول الخيال العلمي العربي وتراجعها، مبيّناً أنّ سبب هذا التراجع، هو ملاحقة بعض العلماء العرب واختفاء بعضهم الآخر، ولا سيّما بعد عام 2003. وأوضح أنّ أدب الخيال العلمي هو جنس أدبي، قبل أن يكون علماً، وذلك لما له من شروط فنيّة تتعلّق باللغة والأسلوب، لا بدّ أن يتقنها من يكتب هذا الأدب. وقدّم بعض الأعمال في الخيال العلمي،لكتّاب عرب منهم: (رواية "السيد من حقل السبانخ" لصبري موسى، و"جريمة عالم" لأميمة خفاجي، و"رجل المستحيل" لمجدي صابر، وغيرهم. وطالب برفع الحواجز بين الكتّاب العرب، من أجل تبادل الخبرات وتطوير هذا النوع الأدبي.

5–أدب الخيال العلمي في المؤلّفات العربية، قدّمه الدكتور /عبد الله أبو هيف/ من سورية، واستعرض فيه أدب الخيال العلمي في المؤلّفات العربية، من خلال تقسيمها إلى مضموناتها واتجاهاتها وفق طبيعة أدب الخيال العلمي وخصوصياته، إلى نماذج عدّة، وفي مقدّمتها: نموذج الأسطورة، والرحلات والمغامرات، والعلماء،

والإنسان الآلي.. ثمّ تحدّث عن كتاب "أدب الخيال العلمي" الذي ألّفه /جان غاتينيو/ وترجمه إلى العربية/ ميشيل خوري/ عام 1990، حيث تأتي أهمية الكتاب من الجمع بين النقيضين، الخيال والعلم، بأسلوب معقلن. وذكر نماذج دراسة أدب الخيال العلمي لكتّاب عرب، منهم: (عزّة غنّام وطالب عمران).

6-الخيال العلمي في التراث-تأثيل ونقد: قدّمه الدكتور /عادل فريجات/ من سورية، تحدّث فيه عن آفاق البحث في الموروثات الأدبية القديمة (السامية والعربية)، باعتبار أن المصطلح المعاصر للخيال العلمي، واسع ومعقّد إلى حدّ الالتباس، الذي يلامس حدود الفلسفة والتاريخ. ورأى أن بذور هذا الأدب، بدأت مع ملحمة "جلجامش" السومرية، وأسطورة "إيتا"، وغيرها. حيث اتسمت قصص الخيال العلمي القديم بمحاولات معرفة الغيب، وتجاوز الواقع المخيّب للآمال. أي أن الهدف الأساسي هو التعبير عن قدرات الإنسان الكامنة، وتوظيفها في امتلاك الكون وتسخيره لصالح الإنسان وخيره. وخلص إلى أنّ فقدان نصوص أدب الخيال العلمي في تراثنا، أدّى إلى صعوبة كبيرة أمام الباحث في تاريخ هذا الأدب.

يستنتج من مضمونات هذه البحوث الستة، أنّها تؤكّد وجود الخيال العلمي في التراث العربي القديم، غير أنّ الكتّاب والمفكرين والمبدعين، أهملوه فترة طويلة واتجهوا إلى أدب الغرب. وها هم بعض الكتّاب العرب المعاصرين يعودون لإحياء هذا الفنّ الراقي بما يواكب نظيره في البلدان الأخرى، مستفيدين من التراث ومن تجارب الشعوب الأخرى، بما يعزّز أهميته الأدبية والعلمية.

ثانياً- محور فلسفة الخيال العلمي: تناولت هذا المحور سبعة بحوث، جاءت على النحو الآتي:

1- الخيال العلمي في الأدب الأمريكي نموذجاً، قدّمه الدكتور/عبد النبي اصطيف/ من سورية، منطلقاً ممّا جاء في كتاب أرسطو "فنّ الشعر"، ليصل إلى أنّ أدب الخيال العلمي بات يؤدّي وظائف عديدة في المجتمعات المتقدّمة. وما بين المنطلق

والغاية، ميزّ الباحث بين ممكنات العلم في الخيال العلمي، وبين وقائع العلم في التاريخ. كما أشار إلى تأثّر أدب الخيال العلمي الأجنبي، بالتراث العربي في هذا الأدب، وقدّم مثالاً على ذلك، فيلم "المحارب الثالث عشر" المأخوذ عن" رحلة ابن فضلان"، والتشابه بين الرواية الأمريكية والأدب العربي القديم/الكلاسيكي.

2–اكتساب كتّاب الخيال العلمي الخبرات الاستراتيجية: قدّمه الدكتور/عماد فوزي الشعيبي/ من سورية، وبيّن فيه من وجهة نظره أنّ معارفنا كلّها هي خيال بامتياز. فالعقل البشري مقسوم إلى نصفين؛ النصف الأيمن (الأنثوي) يمثّل بالشعور، النصف الأيسر (الذكري) يمثّل بالنطق. فالإنسان عندما يتخيّل يعيش معرفته، ولكلّ منا طريقة في المعرفة، والمعرفة ذات الخيال العلمي ترتبط بنمط التفكير الأنثوي، والخيال العلمي من ثمَّ مرتبط بأحلام اليقظة. وعندما نعيش أحلام اليقظة نكون مبدعين، بطريقة إستراتيجية، لأنّنا نفكر بما ليس مفكّر فيه، أي أننا خارجون عن السياق المألوف.

3–قفزات مذهلة في القصص العلمي والتفاعل مع الفانتازيا الأدبية: كتبه الدكتور /حسام الخطيب/ من فلسطين، وقرأه بالنيابة الدكتور /طالب عمران. بدأ البحث بمصطلح أدب الخيال العلمي، وروّاده من أمثال: /جول فيرن و ألدوس هكسلي../. وتاريخه في الوطن العربي الذي يعود إلى أبي العلاء المعري في "رسالة الغفران". وعاد هذا الأدب في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث بدأ العلم يفرض نفسه على الأدب، فأعطت هذه المزاوجة أدباً رفيعاً، استسهله بعض الكتّاب وأساؤوا إليه. وأشار البحث إلى تطورات قصص الخيال العلمي في الغرب، ولا سيّما كبابا /شيبري تيركل/ والجهود الجماعية التي بذلها أنصار الخيال العلمي، ممّا أدّى إلى تيار من الأدب العلمي، له مكانته الخاصة.

وأكّد الدكتور الخطيب، أنّ تقدّم الخيال العلمي كان دائماً باتجاه مزيد من الاتكاء على المادة العلمية ومنجزاتها، والانطلاق منها إلى نطاقات ومغامرات أوسع بكثير. إلاّ أن

تقنيتها العامة كانت تتخذ الشكل القصصي، على نمط الرواية أو القصة القصيرة، ثـمّ المسلسلات التلفازية التي وسّعت انتشار هذا الجنس المهجّن وجعلته منافساً للقـصص الأدبية. وبذلك اكتسبت ثقافة الخيال العلمي مكانتها بما يتناسب مع سرعة الاكتشافات والتطورات العلمية.

4-الاستشراف في روايات الخيال العلمي: قدّمه الدكتور /عبد الهـادي عيـاد/ مـن تونس، منطلقاً من أنّ الخيال العلمي صنف من أصناف الأدب تنطوي تحته أصناف من الاستشراف الاجتماعي الذي يسهم في تصوير الحيـاة الإنـسانية المـستقبلية، والاستشراف البيئي الذي يسهم في تصوير الجوانب البيئية والتعامل معها، وكـذلك الاستشراف السياسي الذي يؤدّي إلى استبصار التحولات الـسياسية عـن طريـق الأحلام، وما روايات الاستشراف السياسي سوى حلقـات وصـل بـين الماضـي والحاضر، أو بين الحاضر والمستقبل.وقدّم أمثلة على ذلك من خلال تحليل رواية "الأزمان المظلمة" للكاتب الدكتور (طالب عمران)، والتي يطرح فيها عـدداً مـن الأسئلة: كيف سيكون مستقبل الإنسان في عالم أحادي القطب؟ مـن نحـن؟ ومـا سنكون عليه سنة 2039؟

ومن هذه الأسئلة، توصّل الدكتور عيّاد، إلى أنّ رواية "الأزمنـة الـصعبة" تـضمّنت أربعة محاور هي: (فضح سلوك الماسونية العالمية، وتعرية القوّة العظمـى وفـضح مخططاتها، والوضع المتدني للإنسان العربي، وتحوّل الرعب إلى الطـرف الآخـر)، وعدَّ أن في هذه الرواية صدمة كهربائية للإنسان العربي.وتوصّل إلى أنّ أدب الخيال العلمي ليس تسلية عابرة كما يدّعي بعض معارضيه. فهو يحمل رسالة حيوية لأنـه بالنسبة للإنسان العادي، تشوّق لما قد يقع من أحداث تدفعه للوعي بحاضره ومستقبله، وبالنسبة لرجل العلم مصدر للاختراع. فالخيال أساس للإبداع فـي مجـالات الحيـاة المختلفة.

5–إشكالية العلاقة بين الأدب والعلم: قدّمه الأستاذ /رائد حامد/ من سورية، وانطلق من أنّ ثمّة علاقة متبادلة بين الأدب والعلم، ولم تكن بينهما أية خصومة عبر التاريخ. واستعرض ضمن هذه العلاقة، تاريخ أدب الخيال العلمي في التراث العربي، موضحاً أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب والعلم. فإذا كان العلم طريقة في البحث النظري والعملي، فإنّ في الأدب موهبة فردية ولكنّها طريق في الأداء..

وانطلاقاً من الدلالات والمعاني التي يقدّمها كلّ منهما ترتسم صورة متقابلة ومتمايزة لكلّ منهما ؛ فالعلم إدراك عقلي، أمّا الأدب فهو إدراك انفعالي/ خيالي.. أي أن العلم يفهم العالم كما هو موجود بالفعل، في حين يفهمه الأدب كما يتمنّى أن يكون.ولذلك فإنّ ثمّة مشتركات بينهما هي: (التخييل والتخيّل، الإحساس الجمالي، الإلهام أو الوحي، الوجدان الإنساني/العلمي، ومسألة المنهج النظري/العلمي..) ليتوصّل إلى أنّ أدب الخيال العلمي هو جنس أدبي من حيث الهوية والانتماء، يقدّم نوعاً من المعرفة العلمية الراقية التي تدفع إلى التأمل والتفكير، والنظرة إلى المستقبل، أكثر ممّا يقدّم من المتعة والترفيه.

6–جدلية الخيال العلمي: أعدّه الباحث: قاسم قاسم /من لبنان، وقرأه بالنيابة الأستاذ زهير غانم. بدأ البحث باختلاف علماء النفس حول طبيعة الخيال، حيث قال بعضهم: إنّه إعادة تمثّل الشيء المدرك بشكل جديد، وهذا هو الخيال العادي. في حين قال /جان بول سارتر/ إنّه إدراك شيء غير موجود، متجاوزاً الزمان المكان، وهذا هو الخيال المبدع. ومثاله محاولة الطيران عند/ عباس بن فرناس.

فالطفولة البشرية تبدأ دائماً بالخيال، والمعجزة الإبداعية هي ما ابتكره الخيال من أدوات للسفر قبل بساط الريح. والخيال بهذا المعنى تركيب واقع جديد بدلاً من الواقع الذي يشكّل معاناة للإنسان، تضطرّه دائماً للبحث عن شكل تعبيري للتخفيف من ثقله؛ فالخيال هو خروج إيجابي لحياة جديدة.

ثمّ أورد الباحث عدداً من الأسماء العربية اللامعة في أدب الخيال العلمي، في مصر وسورية والمغرب ولبنان والكويت.. وما قدّموه من أعمال في هذا الفن الأدبي. وانتهى إلى أنّ أدب الخيال العلمي هو أدب القرن العشرين، وإن كانت بداياته تعود إلى القرن السابع عشر. فالإنسان اليوم محاصر بكمّ هائل من الأدوات العلمية، وعليه أن يدخل إلى عالمها وإلاّ يبقى خارج العصر، مع المحافظة على الخصوصية العامة والخاصة..فالتواصل مع متطلبات العصر، يشكّل حافزاً لتطوير القدرات البشرية. وهنا يكون للخيال العلمي دور كبير في تفعيل هذه القدرات.

7-**الخيال العلمي – واقع وآفاق مستقبلية:** قدّمته الإعلامية /عزيزة السبيني/ من سورية، تحدّثت فيه عن سينما الخيال العلمي التي لم تستطع أن تؤدّي دورها التنويري (التثقيفي)، لأنّها استفادت فقط من الإنجازات التقنية، في حين بقيت مضموناتها الفكرية متخلّفة، باستثناءات نادرة كما هي الحال في أفلام قصص المغامرات.

وقدّمت أمثلة على ذلك تلك الأفلام التي صوّرت الحياة على الكواكب الأخرى، والصحون الطائرة، والعنف الذي قدمته من خلال سيطرة الآلة على البشر. وقدّمت أمثلة على تلك الأفلام، منها: الفيلم الصامت الذي أخرجه /جورج ميليس/ عام 1902، واستوحى قصّته من رواية /جول فيرن/ "من الأرض إلى القمر" ورواية /جورج ويلز/ "رجال القمر الأوائل". وأفلام هوليود (ميتروبوليس، 1935، سفينة الصحراء 1963) وفيلم "آلة الزمن 1961/ وأديسا الفضاء 2001".وإذا كانت تبهر المتلقي بعنصر التشويق التكنولوجي وبالأجواء الغريبة، فإنّها لا تفتح أمامه المجال لتصوّر آفاقاً جديدة للحياة الاجتماعية التي يعيشها.

وأشارت الباحثة إلى أنّ الثقافة العلمية تهتمّ بمضمون الرسالة العلمية، والثقافة الإلكترونية هي الشكل الذي يحمل هذا المضمون. ولذلك فهما وجهان لعملة واحدة هي(ثقافة الأجيال المعاصرة).

يلاحظ من هذه البحوث الستّة التي تتحدث عن فلسفة الخيال العلمي، أنّها تؤكّد الطبيعة الفنيّة الخاصة بهذا النوع الأدبي، من حيث شروطه ومبادئه وأهدافه، كأي نوع أدبي آخر، وربّما أكثر فنيّة لأنّه يزاوج بين العلم والأدب . وهذا يتطلّب من كاتب الخيال العلمي امتلاك التقنية العالية، في اللغة والأسلوب، ليتمكّن من توظيف رسالته في الاتجاه الإيجابي المطلوب.

ثالثاً–محور أهمية الخيال العلمي: تناولت هذا المحور خمسة بحوث، جاءت على النحو الآتي:

1– تأثير الخيال العلمي في حياة البشر: قدّمته الباحثة /طيبة الإبراهيم/ من الكويت، حيث قسّمت الخيال إلى ثلاثة أنواع ؛ الخيال الخرافي، الذي يرتبط بالميتافيزيقيا، والخيال الفنتازي الذي لا يرتبط بالواقع أو بالعلم..والخيال القصصي العادي الذي يرصد الحياة الاجتماعية. وقد مرّ هذا النوع الأدبي بمرحلتين: كانت الأولى في القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر) لم تعتمد على وصف ما يتخيّل من علوم، وإنّما على توصيل المتلقي إلى نتيجة الفكرة العلمية بصورة مباشرة. والثانية، في عصرنا الحالي، حيث بات الأدب قادراً على تخيّل التقنية الميكانيكية للفكرة العلمية التي تؤدّي إلى النتائج المرجوة.

ورأت الباحثة / الإبراهيم / أنّ الخيال العلمي لا يشكّل إلى جزءاً يسيراً من الفنّ القصصي. وأشارت في النهاية إلى أنّ الخيال العلمي يسهم في دفع مسيرة الحضارة البشرية إلى الأمام، ويحذّر من الإنجازات البشرية ذات التأثير السلبي. وأعطت مثالاً عن الاستنساخ البشري، الذي عدّتهً عملية غير منطقية، إذ لا يمكن أن يستنسخ الإنسان نفسه، وإذا حدث ذلك، فيسكون المستنسخ أقلّ كفاءة من الأصلي.

2–الخيال العلمي بوصفه جنساً أدبياً:قدّمه الكاتب /عبدو محمد/ من سورية، أشار فيه إلى أنّ ما تحقّق من إنجازات علمية مختلفة، ليس إلاّ نتائج لتصوّرات بعض الأفراد، تحقّقت على الواقع فيما بعد. وقدّم دراسات نقدية لعدد من المجموعات

القصصية، منها "خلف حاجز الزمن"، كتبها الدكتور طالب عمران، و"الطوفان الأزرق" كتبها أحمد عبد السلام القباني. فالخيال لا حدود له، ولا سيما الخيال العلمي، وما تحقّق من إنجازات علمية هائلة لم يكن ليتحقق لولا خيالات البشر وأحلامهم لما يمكن أن يكونوا عليه.. وهذا يقتضي من العاملين في مجالات العلوم المختلفة أن يطلقوا العنان لخيالاتهم، وإلاّ كيف نحلّ ما يعترضنا من مشكلات وأحداث، أو نخترع أفضل الأدوات، ونعيش في حياة أيسر؟

واستنتج الباحث أنّ الخيال العلمي، قدرة بشرية خلاّقة، وهو جنس أدبي له خصوصيته. ولكنّه حذّر من الإفراط في توظيف الخيال العلمي، ولاسيّما تلك التي تدعو إلى التشاؤم، وإن كانت تحمل تطوراً علمياً كبيراً، وكذلك الرسوم المتحركة وأفلام الأطفال، التي تعتمد القوّة الدموية/ الفردية، وتتنافى مع إنسانية الإنسان.

3-أدب الخيال العلمي للأطفال: قدّمته الكاتبة /لينا كيلاني/ من سورية، منطلقة من أنّ الخيال العلمي للأطفال أصبح ضرورة مستقبلية، بوصفه عاملاً محرّضاً على الإبداع وتنميته. وذلك لأنّ الخيال هو المفتاح السحري فيما نسميه "أدب الخيال العلمي" وتأتي الحقيقة العلمية التي قد تكون طيفاً، أو بذرة صغيرة، أو مولوداً، يمكن أن تنتج من حقائق علمية عدّة.

وإذا أصبح أدب لأطفال يخترق العلم من خلال الخيال العلمي، فإنّ نجاحه الساحق سبب في تقريب العلم إلى الأذهان، فضلاً عمّا فيه من خيال وتشويق. وبذلك أصبح بالإمكان تسريب قيم جديدة معاصرة، كالعلاقة مع التكنولوجية الحديثة، أو البيئة، أو التعامل مع مجتمعات كثيفة السكان، ومع السلوكات المختلفة.

وأشارت إلى أنّه من هذه الأهمية عمدت بعض الدول الغربية إلى إقرار هذا النوع الأدبي في مناهجها الدراسية، في حين نحن ما زلنا نستغربه. وشدّدت على أنّ هذا النوع من الأدب، يحتاج إلى أدوات فنيّة راقية، من المنجزات العلمية التي تسهم في تنميته وتطويره. وقدّمت الكاتبة بعضاً من إسهاماتها في كتابة الخيال العلمي، مركّزة

على التوليف بين العلوم الحديثة والأسطورة، كما في مجموعتها القصصية للأطفال "العصافير لا تحبّ الزجاج".

4–تجربتي في كتابة رواية المستقبل وأدب الخيال العلمي: قدّمه الدكتور /طالب عمران/ من سورية، منطلقاً من أنّ ما يقدّمه كتّاب الخيال العلمي، هو من صميم الواقع، ولكنه يغدو خيالاً عندما يحال إلى المستقبل بأسلوب إبداعي. فأدب الخيال العلمي إذن هو أدب المستقبل، يحلم باللحظة التي ينتصر فيها الإنسان على عوامل ضغطه في الكون المحيط به، ويحلم بالانتصار على الشيخوخة والمرض والتعب، ويكتشف الأعماق المجهولة في المحيطات، ويلتقي كائنات من عوالم أخرى.. إنّه يحاول أن يفسّر حياة الإنسان والألغاز المحيطة به، ويقدّم له حلولاً لمشكلاته المستعصية.

ثمّ يتحدّث الدكتور عمران عن بداياته في كتابة الخيال العلمي، ومسيرته التي تجاوزت ثلاثين عاماً، قدّم خلالها ما يقرب من (60) عملاً في الخيال العلمي، بين قصص وروايات ودراسات، ولعلّ من أبرزها: " الزمن الصعب، في كوكب شبيه بالأرض، رواد الكوكب الأحمر، البعد الخامس، خلف جدار الزمن، الفتية الأغرار وأسفار الكشف، والأزمان المظلمة".

ويتوصّل الباحث إلى أنّ ثمّة مظاهر طبيعية، أو مشكلات، مثل "تلوث البيئة، الغرف الجوي، الاحتباس الحراري،" وغيرها من تأثيرات الحضارة الحديثة، تسترعي انتباه كتّاب الخيال العلمي، فيكتبون عنها متنبئين بنتائجها، ومحذّرين منها ؛ فكاتب الأدب عندما يكتب عن الواقع، يضع أحلاماً وردية للمستقبل، بينما كاتب الخيال العلمي لا يستطيع الهروب من الواقع، ويرسم صورة لمستقبل زاهر دون حلول لمشكلات الواقع. وهنا الفرق بين الخيال الذي يعتمد العلم، والخيال الذي يعتمد الأدب.

5–الأبعاد التربوية في للخيال العلمي في أدب الأطفال: كان البحث الختامي في الندوة، قدّمه الدكتور الباحث /عيسى الشماس/ من سورية، استعرض فيه أهمية

أدب الخيال العلمي في التكوين النفسي والعقلي والعاطفي للطفل، فضلاً عن تأصيل القيم العلمية والاجتماعية والإنسانية، بما يساعده في فهم أفضل عن ذاته وعن الآخرين، وعن العالم من حوله. واستناداً إلى هذه الأهمية قسّم بحثه إلى ثلاثة أبعاد متكاملة: "1- الخيال والطفولة، 2- توظيف الخيال في أدب الأطفال، 3-لزومية الخيال العلمي في أدب الأطفال". وأكّد من خلال هذه الأبعاد أنّ أسلوب التخييل في أدب الأطفال، يجب أن يتّسم بالحكمة والتوازن بين الناحيتين العاطفية والعقلية، بعيداً عن الأوهام غير الصحيحة وغير المعقلنة، التي تسيء إلى خيال الطفل وتفكيره العلمي. وبذلك يحقّق أكبر قدر من الوظائف التربوية عند الأطفال، ولاسيّما ضبط خيال الطفل، وتنمية ثقافته العلمية، ومواهبه الإبداعية.وختم البحث بقول للعالم الروسي /اسحق سلطانوف/ الذي مفاده أنّ من بين مئة طفل قارىء أدب الخيال العلمي، يختصّ خمسة وعشرون في دراسة العلوم العليا، ويخرج من بين هؤلاء عالم واحد على الأقل ..ألا يستحق هذا تشجيع الكتابة في الخيال العلمي..؟!

وما يلاحظ في هذه البحوث الخمسة التي تتحدّث عن أهمية الخيال العلمي، تأكيدها الأهمية الثلاثية الأبعاد (العلمية والمعرفية والتربوية) وذلك بما يخدم المصالح الخيّرة للإنسانية. وهذا يتطلّب من كاتب الخيال العلمي أن يلمّ بالمعرفة العلمية بالظواهر التي يكتب عنها، والأهداف التي يمكن أن يحققها من هذه الكتابة، ولاسيّما للأطفال والفتيان، بما ينمّي معارفهم العلمية، ويصقل خيالاتهم ويوجّهها إلى الإبداع والابتكار..!!

وتوّجت الندوة بجلسة خاصة نوقشت فيها مجموعة من التوصيات الخاصة بأدب الخيال العلمي، وتفعيله كنوع أدبي له شروطه وتقنياته الكتابية/الفنية. وقد تركّزت هذه التوصيات على:

1- إقامة رابطة لكتّاب الخيال العلمي في الوطن العربي، تكون نواتها في سورية. ثمّ تنتشر إلى الوطن العربي.

2- الطلب إلى وزارة الثقافة إصدار دورية خاصة بأدب الخيال العلمي، على غرار الحياة المسرحية، والحياة السينمائية...

3- تنشيط ترجمة كتب الخيال العلمي إلى اللغة العربية وبالعكس.وتشجيع كتّاب الخيال العلمي.

4- تدريس أدب الخيال العلمي في المراحل الدراسية، الثانوية والجامعية (قسم اللغة العربية).

5- عقد الندوة دورياً بما يخدم تطوير هذا الأدب واستشراف آفاقه المستقبلية على الصعيد العربي.

وأخيراً، يمكن القول إنّه على الرغم من الصعوبات التي رافقت الإعداد لهذه الندوة وتنظيمها، كأول ظاهرة لتجمّع عدد من الكتّاب والمهتمين بالخيال العلمي في الوطن العربي، فإنّ هذه الندوة حقّقت –إلى حدّ بعيد– الأهداف التي عقدت من أجلها، ولاسيّما من حيث تأكيد وجود أدب الخيال العلمي في الوطن العربي، والعمل على تشجيعه وتطويره، وإن كان كتّابه مغمورين، ولا يعرف منهم إلاّ القليل. وليست المطالبة برابطة لكتّاب الخيال العلمي، سوى خطوة أولى متقدّمة، نحو تفعيل وجود هذا الأدب.

ويؤمل أن تكون هذه الندوة بداية لترسيخ الوجود الفعلي لأدب الخيال العلمي في الوطن العربي، وأن يعلن كتّابه وأنصاره ولادة هذا اللون الأدبي الراقي، بمعطياته العلمية والإبداعية، وضمن إستراتيجية بعيدة الأمد..فيكون ذلك حافزاً للباحثين على الاهتمام بما ينشر من هذا الأدب ودراسته وتقويمه، كما هي الحال في الفنون الأدبية الأخرى..!